Journal of Science and Knowledge Horizons

ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

The theme of emigration and the engagement of memory in the novel "Brooklyn Heights" by the Egyptian novelist Miral Al-Tahawy

Meguellati Farida ,University of Batna 1 (Algeria)*, farida.meguellati@univ-batna.dz

https://orcid.org/0000-0002-0401-5539

Date of send: 17 / 04 / 2024	date of acceptance: 02 / 06 /2024	Date of Publication: 30/06/2024

Abstract:

This study aims to explore theme of emigration and reminiscence in contemporary novels, striving to transcend conventional literary norms. Through a narrative approach emphasizing diversity and complexity, it diverges from linear storytelling by utilizing memory as the primary analytical tool. Memory plays a pivotal role in reconstructing past events and probing societal dynamics, shedding light on the challenges migrants face in pursuit of better lives and freedom. These themes are exemplified in 'Brooklyn Heights'.

The novelist "Miral Al-Tahawy" demonstrates a profound understanding of the personal and identity- related obstacles encountered by migrants in her literary works. She highlights the discord caused by cultural assimilation, potentially threatening migrants' humanity. Novelist's use of memory as a narrative technique is particularly noteworthy, as it explores the fragmented nature of migrant identities

Keywords: Theme; Novel; Memory; Suffering; Migrant; Emigration.

*Meguellati Farida

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

مجلة العلوم وافاق المعارف
ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

ثيمة الهجرة واشتغال الذاكرة في رواية "بروكلين هايتس" للروائية المصرية "ميرال الطحاوي"

فريدة مقلاتي

الملخص :

تروم هذه الدراسة الكشف عن ثيمة الهجرة واشتغال الذاكرة في الرواية الجديدة، وبخاصة أنها لم تتجاوز المألوف من ناحية الشكل فقط، بل سعت إلى تجاوز التقانات المألوفة في الكتابة الروائية، وذلك عبر مسار روائي مفتوح على التعدد والاختلاف وكسر تراتبية السرد الخطي، باستخدام تقانة الذاكرة؛ إذ اتخذتها كآلية لاستعادة الماضي، واختراق المجتمع والنفاذ إلى عمقه للكشف عن معاناة المهاجر الذي ترك بلاده بحثا عن الحياة الكريمة، والحرية، وهذا ما تجلى في "بروكلين هايتس".

وقد عكست الروائية "ميرال الطحاوي" عبر نصها تصورا ينمّ عن وعيها بالإشكالات الذاتية والهوياتية التي يعيشها المهاجر، وبخاصة أنه يصطدم بثقافة جديدة قد تفقده إنسانيته، وقد اعتمدت على الذاكرة بوصفها تقانة ومادة حكائية في الوقت نفسه مركزة على شرخ الذات والهوية عند المهاجر.

الكلمات المفتاحية: رواية؛ ثيمة؛ ذاكرة؛ معاناة؛ مهاجر؛ هجرة.

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

مقدّمة:

وَرَدَ في لسان العربِ أن الهجر «ضد الوصل. هَجَره يَهْجُرُه هَجْرا وهِجْرانا: صَرَمَه، وهما يَهْتَجِران، ويتهاجران والاسم الهِجْرة... والهِجْرَة والهُجْرَةُ: الخروج من أرض إلى أرض...»[1]، وجاء في "المعجم الوسيط" أن الهجرة: هي «الخروج من أرض إلى أرض. وانتقـال الأفراد إلى مكان آخر...»[2] نعاين من خلال التعريفين أن الهجرة تعني الترك، التخلي، والانتقال إلى مكان آخر بحثا عن الأفضل، والأحسن لتحقيق حياة كريمة سواء أكان ذلك على المستوى الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو التعليمي، وغيرها من الطموحات التي يترك الفرد من أجلها وطنه، كما أن الهجرة في حقيقة الأمر ليست أمرا طارئا على المجتمعات، ولكنها في عصرنا الحالي «أخذت بالتسارع المتزايد...لتصبح جزءا لا يتجزأ من عملية التكامل العالمي...[و]إن بعض علماءِ الاجتماع يُطلقون على أيامنا هذه "عصر الهجرة»[3]، وتوجد عدة أنواع من الهجرةِ منها الهجرة الداخلية، وتَتِمُّ في بلد نفسه، والهجرة الخارجية، وتكون خارج الجغرافية الأصلية، والهجرة السرية (=غير شرعية) وهي من أخطرِ الأنواع؛ لأنها تشكلُ خطرا على حياة الفرد.

إن الرواية إبداعٌ، ونمط من الممارسة؛ إذ تتجلى من خلال إعادة إنتاج الواقع أو تنسيق علاقاته أو صياغته من جديد[4]، فهي إذا تبدأ بفهم الجماعة بوصفها جماعة لا أفرادا، وبذلك فهي تنظر إلى المجتمع، وتخاطب كينونة الإنسان في عمقها، وتكتسب قيمتها باعتبارها بحثا اجتماعيا ووثيقة سياسية ونبوءة تاريخية [5]، وهذا يعني أن الروائي عادة ينطلق من المجتمع، ويحاولُ طرح بعض القضايا التي تمسه، وبما أن الهجرةَ ظاهرة اجتاحت المجتمعات العربية بخاصة والعالمية بعامة، فالروائي العربي المعاصر لم يكن في منأى عن هذا الأمر، بل في كثير من الأحيان يكون في كوكبةِ المهاجرين؛ إذ نجده يترك وطنه كُرها بسبب ظروف سياسية أو طوعا بحثا عن الذاتِ والحياةِ الكريمةِ، وبخاصة إذ أحسَ الفردُ أن المكان الذي يعيش فيه لا يخصه، فهو منأى عنه لفقدان الأحبة، وكل ما يَرْبِطه به، ولكن في كثير من الأحيان يجد المهاجر عوائقا وأيضا الكُلُوْمُ التي تصيبهم عميقة[6]، لذلك فالعمل الروائي يكشف هذه الصراعات الداخلية التي يعاني منها المهاجر الذي يعيش في غالب الأحيان وحيدا منعزلا غير قادر على التكيف؛ لذا نجده يعود في كثير من الأحيان، وهو في المهجر بذاكرته إلى الموطن الأصلي المثقل بالمواجد والذكريات.

وبذلك فالروائي الذي عَاش التجربة وحده القَادِر على اختراقِ اللاشعور وإخراج المكنونات، والروائية "ميرال الطحاوي" عاشتْ التجربة؛ إذ غادرت مصر نحو "بروكلين" (=أميركا) كرها؛ إذ بينت في إحدى حواراتها أسباب هجرتها، وكذلك كتابة روايتها؛ إذ قالت: « عندما سكنت شقة "بروكلين" تحول الماضي الذي هربت منه، الفساد، العنف الديني، الفقد، أزمة منتصف العمر، الخيانة، التفسخ، كل هذه التركة صارت ضاغطة ولا خلاص منها إلا بالكتابة، فكل ما أعيشه بحواسي اليومية يردني إلى ذاكرة أبعد، وتحولت الحياة كما يصفها النص إلى ريح من الحنين العاتي حيث يكتشف الراوي والكاتب معا أن البدايات لا تتحقق بمجرد الرغبة فيها وأن ما حملناه بداخلنا يظل بداخلنا للأبد، ربما هذا ما قاله عالم النفس فرويد بوضوح ذكريات طفولتنا البعيدة هي اللاشعور الذي يفرز

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

أحلاما وصراعات وربما كتابات أيضا»[7]، وبذلك فالروائيةُ عاشتْ التجربة، وهذا ما جَعَلَها قادرةً على نبش الماضي وإفراغه في نصها السردي، وهذا ما تجلى في من خلال شخصية "هند" التي انتقلت إلى "بروكلين" حاملة معها ذاكرة مثقلة جعلتها تعيش صراعات داخلية وخارجية؛ لذلك راحت تبحث عن ذاتها وعن هويتها، وبخاصة أن هذا الأخيرة تتألف من عناصر غير ثابتة، وهي عند المهاجر هوية مرتبكة بسبب تغيير الفضاء والصدمة ومقارعة ثقافات مختلفة[8]، وبخاصة أن الآخر هو المختلف من ناحية الجنس والعِرْق والعَقِيدة والفِكر.

وقد حاولت الروائيةُ من خلال نصها السردي (=الرواية) سَبْر أغوار الذات وكشف علاقتها بماضيها وحاضرها، ومعاناتها نتيجة بعدها عن الوطن الأصلي، وفراق الأحبة، وبخاصة الوالدين، وعليه سَتَنْطَلق هذه الدراسة من مجموعة من الأسئلة منها ما يأتي: كيف عالجت الروائية هذه الثيمة في روايتها؟ ولماذا لجأت إلى خِطَاب الذاكرة؟ وما هي الأسباب التي حَدَدتها للهجرة عن طريق شخصياتها؟ وما هي سلبيات وايجابيات الهجرة على الفرد؟ ما الفرق بين ماض الشخصية وحاضرها(=المهجر)؟ وهل يمكن للمهجر أن يحُقِقَ السعادة والحرية للمهاجر؟

أما الدِرَاسات السابقةُ فهناك دراسة لعبد المالك أشهبون الذي أشارَ فيها إلى هذه الرواية أثناءَ حديثه عن حُضورِ الفضاء الأمْرِيكي في الرواية العَرَبيةِ في مقالهِ الموسوم "جاذبية الفضاء الجَدِيْد في سَرْدِيات المهْجَرِ". وهذه الدراسة سَتَعْمَلُ على إماطة اللثامِ عن طبيعة ثيمَة الهجرة في هذا النَّص السردي معتمدةً على المنهجِ الموضوعاتي.

1–الذاكرة والهجرة:

تُعد الذَاكرة من التقانات المتميزة التي يعتمد عليها الروائي المعاصر لبناء نصه السردي، وتنظيم وحداته الحكائية، لهذا نجده ينطلق من الحاضر، ويعود إلى الماضي بواسطة ذاكرة البطل أو السارد متجاوزا قواعد السرد الكلاسيكية، فيكسر نظام السرد الخطي، وتراتبه، ويصنع واقعا جديدا بصورة تنمُ عن الجِدة في معالجة أي تيمةٍ، ولكن لا يمكن لنا أن نَنْفِي الطابع التخييلي عن الخِطَابِ الذاكراتي؛ إذ يعمل الروائي على إبداعِ عالم خاص ومستقل لشخصياتهِ من حيث الأحداث والأفعالِ[9] مُسْتَبْعِدا بذلك احتمال تَطَابق أحداث نصهِ السردي مع ذاتهِ، ولكن هيهات فالروائي في حقيقةِ الأمرِ يتوارى وراءَ شخصياتهِ، ويَسْتَخْدِم مختلف التقانات الفنيةِ والإيهاميةِ، والسياقيةِ حتى لا يتجلى تسلطه الإيديولوجي بشكل بَائِن وجلي[10]، وبما أن الروائية عَاشَتْ التجربةِ فإنها استحضرت في نَصِهَا السردي ثيمة الهِجْرة، وبخاصة أن بلاد المهْجَرِ مَنَحها حسب قولها مَسَاحَة أكبر لرؤية تجَلِيَات المشهد، وأعْطَتْها زاوية أَوسَع لرؤية ذاتها ورؤية مَاضِيها، وحَاضِرها، فالعنصرية والفَسَاد، والتدين الزائف، والتبشير والجَهْل كل هذه الأمور متوفرة بمرارة في بلاد المهجر (=أمريكا) التي تتَمَلق وتدعي التحرر وقُبول الآخر، كما أن معايشة الآخر بشكل مباشر يمكن الفرد من معرفته بشكل ظاهر وجلي، ويمكنه أيضا من مَعرفة ذاته، ويُصْبح بذلك أكثر وَعْيا بها، وبذلك فالروائيةُ طرحت هذه الثيمة، وهي أكثرُ وعيا بِذَاتها؛ لأن الذاكرة والمهجر يسيران جنبا إلى جنب في نصها لتقديم صورة جلية وواضحة عن معاناة الكثير من المهاجرين، وخُصُوصا المرأة.

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

يحُاول المهاجرُ عادة الانْدِماج في المجتمع الجديد، ولكنّه في حقيقة الأمر يَصْطَدم بحواجز على مستوى كل الأصعدة، فتخدش رُوحَهُ ويقف بَاهتا مَصْدُومًا من الواقع المر، فيصَابُ بالحزن، والكآبة والعُزْلة، ويبقى يراقبُ من بعيد لعله يجد فرصة سانحة للانخراط، وتجديد حياته مرة أخرى، وبذلك فهو يعيش في رِحْلَة بحث عن الذاتِ ولملمة نفسه المكسورة ربما في الماضي والحاضر، فهو يسعى إلى تحديد هويته المرتبكة بسبب تغير الجغرافيا، واللغة والثقافة فكل ما يجده في الجغرافية الجديدة يختلف كليا عن إثنيته وهذا ما يزيد من قلقه وارتباكه وإحْسَاسِهِ بالضياعِ والتشتتِ.

وقد تجلت ثيمة الهجرة في رواية "هايتس بروكلين" بشكل وَاضِح، فالهجرة والذاكرة تسيران معا، وبخاصة أن «...أدب المنفى هو أدب استعادة»[11] فكلما اصطدمت بَطَلَةُ الرواية بعوائقٍ وأشياءٍ مغايرة لثقافتها تُعُود بِذَاكرتها إلى وطنها، وبذلك فالوطن والذاكرة والمهجر يَصْبَغُون النصَ بصبغة خَاصَة، ويمنَحُون فَضَاء الرواية خُصُوصِيَته التي تمنحه فَهْمًا خاصًا ومتفردا، ونجد أن الرواية تتوزع على اثني عشر فصلا، وأحداثها تميلُ إلى التعاقب أحيانا، والتداخل في أحيان أخرى؛ لأن «الرواية بناء واشتغال فكري ومخبري...وليست توارد خواطر وتدفق مشاعر، بل هي تصميم وتخطيط وإنجاز. إنجاز عالم متخيل، ولكنه واقع تخييلي على القارئ تخييله وتصديقه، كما يؤمن الطفل باللعبة التي يصنعها من ورق أو بقايا أخرى لكنها تنمي فكره، وتطور وعيه، وتشبع رغباته»[12]، وهذا يعني أن الروائية قد جَعَلت من شخصية "هند" شَخْصِية محورية تعيش بين الماضي(=الوطن) والحاضر (= المهجر) هذا الأخير الذي اتخذته مطية للتجاوز والتغيير، وبذلك فالتأرجح بين الهنَا والهَاك يُوحي بالتفكير المضطرب، وبخاصة أن الشخصية المحورية كاتبة ومهاجرة في الوقْتِ نفسه؛ إذ يقول السارد:«...ومن بين كل الشوارع تختار "فلات بوش" لأنه يصلح لها وهي تركض حاملة وحدتها وعدة حقائب وطفلا يستند عليها كلما تعب من المشي وعدة مخطوطات لحكايات لم تكتمل تضعها في حقيبة صغيرة...»[13] ، حتى بعد أن وصلت إلى بروكلين اختارتْ المكان المناسب للإقامة ولمزاجِهَا النفسي؛ إذ يقول السارد: «...اختارت المكان المناسب تماما لمزاجها النفسي، حيث يبدو كل ما حولها بالغ القدم يثير الحنين ويبدو كل من حولها مشغولين في عملية الخلق الكوني. كلهم كتاب كما تحلم بأن تكون يحملون حقائب مكدسة بمخطوطات أحلامهم ويبحثون عن الوكلاء الأدبيين ودور النشر...إنها الآن تنتني إلى المكان المناسب حيث ترى أناسا يشبهونها تقريبا...فقد حلمت فقط بالكتابة، وظل ديوانها الوحيد" لا أشبه أحدا" أوراقا محفوظة في حقيبة يد بيضاء قديمة...»[14].

وعليه فـ"هند" تحملُ في قلبها أحْلاما وطُموحات ستسعى لتحقيقها في بلاد المهجرِ حَسْبَ توقعها، وقبل أن تنصدم بحقيقة هذه الجغرافيا الجديدة؛ إذ استخدمت الروائية تِقنية التنبؤ عبر أبراج البخت وأوراق الحظِ وكأنها أصدرت حُكْمًا مسبقا على عدم قدرة هند (=المهاجرة) على التكيف، وتقبل ثقافة الآخر، هذه الأخيرة التي ستعمل على اقتلاع جذور ثقافتها التي تعكس اختلافها؛ إذ يقول السارد: « كانت تريد أن ترى حظها في أي شيء، أبراج البخت، وأوراق الحظ...وكف يدها...لكنها لم تتوقع أن تجده داخل قطعة العجين المقددة على ورقة صغيرة ملفوفة بطريقة حلزونية دقيقة، تفتحها بعناية ...ثم تقرأ..."ما ينتظرك ليس أفضل مما تركته وراءك..."» [15]

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

فهذا القول وهذا التوقع صدمت به الكاتبة بطلتها منذ بداية الرواية، وبالتالي فالروائية انطلقت من تجربتها التي مرت بها قبل كتابة الرواية؛ لأن هذه الأخيرة جاءت بعد معاناة واشتغال فكري قادها إلى تخطيط محكم لأحداث الرواية وثيمتها.

وعليه فهذه الرواية تمثل رِحْلَة البَحْث عَن الذَات، رحلة امرَأة كَاتبة فقدت السَنَد في موطنها، وزوجة عانت من الخيانة، وأم في الوقت نفسه في بلاد غريبة، فهي تصطحبُ ابنها معها الذي لا يعي من حقيقة المهجر أي شيء، المهم أن تُلبى طَلَباته، وهذا ما تجلى في قول السارد: « ...أفلت من يدها إلى الدكان المجاور...وقال له باختصار وسرعة أذهلتها: "واند روستد كريمي تشيز بيجل، وسموزي ستروبري كرامبري جوس" بدا لها الطلب طويلا...تعثرت في عد النقود الفضية...وتعثرت في إيجاد كلمات مناسبة تدعوه إلى التعقل في قراراته الشرائية ووعظه بحكمة التشاور...رد بحنق:...يعني أنا طلبت إيه يعني" تعثرت في الرد على تعليقه الذي بدا حادا ومباغتا...»[16] ، وبذلك فهي شخصية مأزومة تحمل بداخلها وَجَعًا حَيَاتيا وإبداعيا، وهذا ما طَرَحَتْه الروائية من خِلال المحكي؛ إذ عكست تفاعل ذَاتية الشخصية(=هند) وواقعها الجديد، واشْتِغَال الذاكرة لَديها، مركزة على شرَخِ الذات، وبخاصة أن الرحيل إلى جغرافية جديدة «ليس رحيلاً جغرافياً فحسب، وإنما هو دنو "تاريخي" من الذات... »[17]، وهذا الشرخ ازداد عندما اكتشفت حقيقة هذه الجُغرافيا الجَدِيدة(=عنصرية، تبشير، استغلال جنسي...)، وهذا ما كثف من مُعَاناتها نفسيا وجسديا، وجعلها تعيشُ التشتت والتوجس الذي جَعَلَهَا تراقب النّاس من بعيد حتى المهاجرين مثلها؛ لأنها تُدْرك حقيقة نواياهم التي تتجلى في كثير من الأحيان في الاستغلال المادي والجنسي.

وبذلك يمكن القول إن البطلة (=هند/مهاجرة) تنْصَدم بحقيقة الجغرافيا الجَديدة، ولا تجد خلاصا إلا بالعودة عبر ذاكرتها إلى الماضي، فهي تحاول أن تبحث عن مَلاذها الخاص عن طريق اسْتِذكار موطنها الأصلي بحلوه ومره، وبخاصة أن الروائية "ميرال الطحاوي" قد أقرت في إحدى حِوَارَاتها أن رواية "بروكلين هايتس" «هي تجل لمسيرة وعي بالحياة، هي اللحظة التي اكتشفت فيها أن الانتماء الوحيد الذي لا خلاص منه والمكان الوحيد الذي يشكل هويته[ها] هو ... الماضي ...» [18].

2 –أسباب الهجرة /رحلة البحث عن الذات :

يضطر الفرد في بعض الأحيان إلى مُغادرةِ المكان الذي ولد ونشأَ فيه لعدة أسباب، منها الأسباب الدينية والطبيعية، والاجتماعية والسياسية، ولكن اليوم تُعد الأسْبَاب الاجتماعِيَة والسِياسية من أكثر العَوامِل المسببة للهجرة من الإقليم الجغرافي الأصلي الذي يتوفر عادة على عَوَامل الطرد، إلى الإقليم المستقبل الذي عادة ما يتوفر على عوامل الدفع والجذب[19]، وقد عكست الروائيةُ من خلال نَصِهَا السردي بعض العوامِل التي تُؤدي إلى الهجرة منها العوامل الاجتماعية التي قد يتشرب الإنسان سمُومَهَا منذ نُعومة أظفاره، وهذا ما تجلى من خلال الشخصية المحورية(=هند)، التي عاشت في عائلة تفتقد إلى أب مسؤول، وهي بدورها عندما تزوجت لم تحظ برجل يحترمها ويراعي مشاعرها، وهذا ما تجلى في قول السارد:« بعد زواج لم يستمر طويلا وبعد سلسلة من النزاعات الأسرية...، مثل خبط الأبواب، والعبارات الجارحة مثل "أنا لم أحبك قط"، و"مش عاجبك مع السلامة"، و"أنت حقير...،

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

وأنت تافهة" وتطور المناورات الكلامية إلى حمل الحقائب، والدموع وتلصص الجيران، تدخل الأصدقاء...كان كل ما يهم هند في حياتها الزوجية القصيرة هو تلك الحقيقة التي صارت أوضح: أن على واحد منهما أن يختار النهاية التي تناسبه»[20]. فهذا النص يعكس معاناة المرأة في المجتمع الشَرقي الذكوري، وبخاصة أن "هند" جربت كل الوَصَفَات لكسب حب زوجها، ولكن دُون جدوى؛ إذ يقول السارد: «...سكبت الكثير من العطور على الوسائد، وتركت جلدها المرن ناعما وحبيا وطبقت كل الوصفات التي تعلمتها مثل كيف تحتفظين بزوجك، وبددي السأم بتغيير ألوان ملابسك الداخلية والغيرة الحلال...» [21].

نعاين من هذا النص أن المرأةَ في المجتمَعِ الشرقي دائما هي التي تَطلب وِد ومحبة الرجل؛ إذْ تَبْذُل الغالي والنفيس في سبيل مرضاته، ولكن هيهات، فهو دائِما السَّبَاق إلى التخلي عنها وتبديلهَا بغيرها؛ إذ يقول السارد: «ذات صباح وبعد أن أنهى زوجها حمامه الصباحي، وأراق كثيرا من العطور واختار ملابس داخلية من القطن الأبيض التي مازالت ناعمة ومخملية كليلة غرام أولى ووضع بيجامه من الحرير الأسود وعددا من الواقيات الذكرية في حقيبته خرج ولم يعد ثانية...»[22]. يصور هذا النص الرجل الشرقي رَجُلا شَهْوانيا، يَسْعَى لتحقيق رغَبَاته الجنسية دون مُرَاعَاة عائلته، فهو تخلى عن زوجته وابنه، وكأن المغزى من وجوده في هذه الدنيا هُو إشْبَاعُ غرائزه الحيَوَانِية دَون ضَوَابط، والتَنْصل من مسؤولياته، وطَمْس أخلاقه التي تجعل منه رجلا مَتَوازنا رُوحا ومَادة، وبذلك تبقى المرأة (=هند) تراقب هذه الأحداث لتُقَرر بعد عدة أشهر التَخلي عن مَوطِنِهَا الأصْلِي، والمغادرة إلى جغرافيةٍ جديدةٍ لعلها تحقِقُ ما عجزت عن تحقيقه في جغرافيتها الأصَلِيَةِ؛ إذ يقول السارد:«...بعد عدة أشهر وضعت في عدّة حقائب كل ما تبقى لها في البيت...وجرت حقائبها ومضت. كل ما تركه لها الزوج كان تأشيرة سفر سمحت لها بدخول البلاد البعيدة وطفلا يجر بدوره حقيبتين...وسكنا شقة صغيرة على ناصية "فلات بوش"...وهكذا وجدت نفسها بين ريح الشمال وريح الشرق والجنوب معا وحيدة بائسة...»[23] . نعاين من النص أن هجرة "هند" جاءت بعد تخلي زوجها عنها نتيجة عدم التفاهم على الرغم من الجهود التي بذلتها لكسب وده، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل، فجرت حَقَائِبها واتجهت إلى "بروكلين" عبر جِسرها، فكأن هذا الجسْر هو الرابط بين مَاض يعيش بدَاخِل "هند" والحاضر (=الواقع) الذي تَسعى "هند" للتأقلم معه وتحقيق ذَاتها، وبخاصة أنها كانت تحلم أن تكون كَاتِبة، فحينما وصلت إلى "بروكْلِين" كانت تذهب إلى المكتبة العامة كل يوم «لتتأمل صور الكتاب الذين حلمت أن تكون مثلهم. تراهم على الجدار يؤنسونها ...؛ لأنها كانوا مثلها يعرفون أن الحياة ليست جميلة. تجلس على طاولة كتب عليها (تعلم الإنجليزية) وإلى جوارها لوحة رمادية لوجه أينشتين كتب تحتها "أينشتين أيضا كان لاجئا" تترك وجه همنجواي الذي كان أيضا لاجئا خلفها وتجلس مرتبكة إلى جانب آخرين أقل ارتباكا منها»[24]، وهذا يعني أن "هند" هاجرت، وهي تحمل بداخلها أحلاما منها العمل، والكتابة فهي السَبِيل لمقَاوَمة كل الضغوطات الخارجية والداخلية، وبخاصة أن ذاكرة "هند" مثقلة بذكريات الطفولة وما عاشته في جُغْرافيتها الأصلية فالإنسان ما يحمله بداخِله يظل معه للأبد، وبذلك فالورقة البيضاء تمنحها حرية أكثر للتكلم والتَصور والتخيل، فَفِعْلُ الكتابة وحده القادر على قَهر الذل والغياب والانسحاق، وإعادة ترميم شروخ الذات، وهذا ما قاد هند للصراع من أجل تحقيق هذا الفعل.

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

وبذلك فخليج "بروكلين" الذي اختارته "هند" هو ملتقى المهاجرين؛ إذ يقول السارد:« ...خليج بروكلين الذي استقبل هجرات متتالية من أفواج عديدة، جاؤوا من غزة ونابلس وبيروت والإسكندرية...»[25] ، والمهاجر الجديد عادة يحاول التأقلم ويحيط نفسه بهالة من الغموض، وإذ سئل عن مسكنه وشغله والفيزا فإنه يتعمد الكذب، وهذا ما تجلى من خلال الحوار الذي دار بين "هند" وعامل المقهى؛ إذ يقول السارد:« كانت تكذب، وهو يواصل الأسئلة التي لا تجد لها إجابة ولكن في "البيرج" يقتلون الغربة بحياكة الأسئلة التي تظهر براعتهم في كشف أكاذيب القادمين الجدد الذين يصبحون بعد مدة مجرد أناس يشبهونهم تماما يبحثون عن عمل وفيزا وعن غرفة وأشياء يعرفونها وعاشوها آلاف المرات...»[26]. وكأن جلُ المهاجرين يشتركون في أشياء عدة منها: البحث عن عمل وفيزا (Visa)وغرفة؛ أي البحث عن عيش كريم، وتحقيق الأحلام، ولكن هيهات، وهذا ما تجلى على لسان "محمد" الذي يعمل في مقهى في "البيرج"؛ إذ يقول: «...أما مثلا عندي بكالوريوس تجارة، وكنت أحلم بأن أكون بحارا منذ وقت طويل، لكن أنت ترين الآن ماذا أعمل؟»[27]، فهذا النص يوضح أن المهاجر في كثير من الأحيان ينصدم بالحقيقة، إذ لا يجد ما أراده وحلم به فيصاب بخيبة أمل، وبذلك فالروائية حددت من خلال نصها السردي بعض الأسباب التي تؤدي إلى الهجرة، وبخاصة الأسباب الاجتماعية، فالفرد الذي لا يحقق أحلامه في موطنه، ويتعرض للخيانة يشعر بالانسحاق، والقهر، وهذا ما يقوده للبحث عن موطن بديل لعله يسنده ويمنحه فرصة لتحقيق أحلامه حسب اعتقاده، وهذا ما يقوده ويشجعه على الهجرة، ولكنه في كثير من الأحيان يصاب أيضا بخيبة ثانية في الجغرافيا الجديدة التي تحتوي على أسباب الجذب حسب تصور المهاجر، إذ يحسبها جنة ومحققة الأحلام، ولكن هيهات.

3-الذاكرة والمقابلة بين الجُغرافيَا الأَصلية والبديلة (=بروكلين):

يُهَاجر الفردُ، ولكنه يحمل معه ذَاكرته المثقَلة بالذكريات والمواجِد، والروائيةُ بدورها تركت جغرافِيتها الأصلية واتجهت إلى جغرافية جديدة (=بروكلين)، وقد حملت بداخلها مَاضِيها، فهي لم تستطيع التخلص منه، لذا نجدها قد حمّلت بطلتها الماضي نفسه المثقل بالذكريات والمواجد؛ لذا نجدها في مَهْجَرِهَا كُلَما مرت بتجربة يعُود السارد إلى موطِنها، فعندما تعود إلى بيتها في "بروكلين" تعبر الكثير من الشوارع؛ إذ يقول السارد:« في طريقها ...تعبر كثيرا من الجيوب العرقية تعبر أرض المكسيك...تعبر في طريقها المقابر التي تسكن ربوة عالية وتشرف على كنيسة ضخمة...تحب المقابر وباقات الورد البلاستيكية...تدخل بعد ذلك منطقة الإسبان الأكثر حيوية وبهجة...»[28] ، ويعود السارد بعد ذلك إلى مقابلة هذه الشوارع التي تمر عبرها هند للوصول إلى بيتها بالشوارع في جغرافيتها الأصلية؛ إذ يقول: « بيت أبيها لم يكن مثله شيء تسير هند في طفولتها فترى البيوت من حولها مفتوحة على سرديب طويلة وحارات ضيقة كلها من الطين الداكن أكوام القش فوقها... البيوت حولها مفتوحة ترى من خلالها محطات سيرها...تسير في الأرض الترابية صيفا الطينية اللزجة شتاء وتتفحص بعض الجرات...تعبر هند بعض المساكن الطينية وبعض الأحواش الفرغة في طريقها ...».[29]نعاين من هذا النص السردي وحسب السارد أن "هند" مازالت تحمل

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

ذكريات الطفولة مخزنة في منطقة اللاشعور، وهي التي تخلق بعض الصراعات؛ لأن هناك ذكريات تبقى بداخلنا، ولا يمكن التخلص منها، وهذا ما يجعلها منعزلة ومنطوية ومتوجسة من كل الناس، وبخاصة الرجال.

كما أن الروائية لجأت في نصِها السَرْدي إلى تُقَانة المشي، لتُجسد بها التوق إلى الحرية والانطلاق، فالمشي في الرواية يعكس «...التعطش إلى الحرية [فهو] ضد ...الاحتجاز في حيز البيت الضيق. إنه تعبير عن حاجة المرأة للهواء والشمس وتحدي التقاليد التي تحكم خروجها ... يتحول هذا الفعل إذن في المجتمع الذكوري إلى تمرد حقيقي ومقاومة من الدرجة الأولى تمارسه المتمردة مشهرة لا مبالاتها ضد نظرات الرجال متحدية إياها»، وهذه الحرية لم تتحقق لهند إلا بعد هجرتها؛ لأنها في جغرافيتها الأصلية عانت من الانغلاق، فهي محبوسة في بيتها حيث تنعدم الحرية؛ إذ يقول السارد: «...وسط التهديدات تزحف من تحته تفتحه بحذر. تختلس النظر إلى بنات لا يشبهنها، يلعبن هناك في الفضاء المفتوح. يجرها أحد إخوتها من شعرها إذا تسكعت أمامه تقول لها أمها: "ح اكسر رجلك لو عَتّبتيه" فتنظر إلى العتبة الفاصلة. وتخبىء اشتهاءاتها إلى يوم تخرج منه ولا تعود...»[30]، فالروائية استعادت عن طريق السارد التقاليد التي تحكم العائلة الشرقية، فالبنت حينما تصل إلى سنِ البلوغِ تمنع من الخروجِ وتحبسُ في البيتِ الذي تنعدمُ فيه الحرية فهو الداخل مقابل الخارج، والمغلق مقابل المفتوح المتسع[31]. وأجبرت "هند" بدورها على المكوثِ في البيت، هذا النظام الذكوري الذي عادة ما تشارك المرأة في توطيد دعائمه، وتشرف على تنفيذه، وهذا من تجلى من خلال أم "هند"، فأصبحت بذلك "هند" تتمنى الخروج دون عودة، وهذا الإحساس كُبت في منطقة اللاوعي، وقد تجلى هذا الإحساس بصورة واضحة حينما هاجرت إلى "بروكلين" ومشت في شوارعها كأنها تحقق أمنية قديمة؛ إذ يقول السارد: «تسيرُ هِنْد الآن في ضواحِي بروكلين أكثر ولا تكل مِن المشي، كأنها تحققُ أمنية قديمة بأن تسير ...تعبر مناطق أكثر من حي اللاتينو والإسبان والطليان والصنيين...ثم تسيرُ إلى أرضِ العربِ "البيرج" كما يسمونه تكون ساعتها مشت أكثرَ من سبعين شارعا وعدد لا بأس به من الأحياء المتجاورة المتنافرة في هيئة بيوتها وأشكال ساكنيها...».[32]

فهذا النّص يعكس ربما عملية التطهير النفسي الذي تمارسه "هند" من خلال فعل المشي فهو اختراق للممنوع الذي عانت منه في موطنها، وهذا يَعْكِسُ أيضا أن الهجرة هي رفض للواقع ووعي ينم بالبحث عن الاختلاف والتغيير وتجاوز ما هو كائن والانتقال إلى حال مغايرة، و"هند" تغادر "الهنا" وتتجه إلى "الهناك" بحثا عن الذات التي ضاعت في مجتمع ذكوري، يمارس كل أنواع القَمْع ضد المرأة تحت مسميات مختلفة، وبخاصة الدينية. فسلوك "هند" يعكس التصادم بين الداخل والخارج (الذات/ الواقع)؛ أي تصادم بين ما تعده الشخصية حَقا من حُقُوقها وبين ما يفرضه الواقع(=المجتمع).

كما مَارَست الروائية المشْي عَبر الذَاكرة؛ وهذا ما تجلى من خلال لقاء "هند" بـ"تشارلي" الذي دعاها للرقص فاستطردت المهاجرة (=هند) في استرجاع ذكرياتها وبسطها للتشارلي جارها، ولكن الآخر (= تشارلي) لم يكن مستعدا لسماعها، فهي رحلت بذاكرتها إلى موطنها إلى طفولتها وتذكرت الألعاب التي كانت تمارسها، وراحت تسرد تفاصيلها، ولكن تشارلي تذمر من ذلك فهو "لا يعرف أن الوحدة تخلق هذا الحنين تخلق أيضا رغبة في

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

التواصل ..."[33] ، ولكن "هند" عادت بذاكرتها إلى جغرافيتها الجديدة وسرعان ما اكتشف نية "تشارلي" الذي أراد أن يستغلها جنسيا؛ إذ يقول السارد: «...عاد إلى شكله الإنساني الذي تألفه...عاد كما كانت تشعر به؛ ضفدعا طينيا لرجل لا تحبه، يريد أن تكون مثل تلك المرأة التي تركت طفلتها عندها بلا مناسبة ، وصعدت بسرعة ورشاقة إلى شقته، لتخلع ملابسها برشاقة وخفة، ولم تكن هي مستعدة لذلك ...ركضت بسرعة وسمعته يخبط الباب وراءها وهو يلعنها ويصف مقعدتها الممتلئة بكلمات موجزة ...ومعبرة "بيج فات آس". في غرفتها بكت وحدها ..."»[34] نعاين من هذا النَّصِ تخبط المهاجرة (=هند) بين الهنا والهناك، فهي وجدت نفسها في مجتمع استغلالي لا يحترم آلام الآخرين وذكرياتهم التي تخلق لديهم نوعا من الحنين إلى الوطن والعائلة، فالجغرافيا الجديدة باردة تفتقد لدفيء العاطفة والاحتواء، وبذلك يتجلى لنا فرق شاسع بين المجتمع الأصلي والمجتمع المستقبل؛ إذ أن "هند" تحمل بداخلها ماضيها ذكريات الطفولة المترسبة في اللاوعي، وهذا ما خلق برزخا بينها وبين البيئة الجديدة التي فشلت في التأقلم معها.

4-سلبيات الهِجرة على الفرد:

إن الرِوَائِية رحلت ببطلتها "هند" عبر الكتابة إلى المهجرِ (=بروكلين) في رحلة بحث عن الذات وتحقيق التغيير، وتجاوز المألوف، والتحرر من السلطة الذكورية، ولكنها تجد نفسها وحيدة خائفة من أية علاقة، إذ بينت الروائية من خلال علاقة "هند" بـ "فاطيما" الصومالية المهاجرة بدورها سمة الاستغلال حتى بين المهاجرين أنفسهم، وهذا ما تجلى على لسان السارد بقوله: « ...تعرف هند أنها تمشي معها وتلتصق بها، ليس بدافع الصداقة، هي فقط تحتاج أن تنام بعض الليالي في بيتها...بيتها غرفة واحدة إذا نامت فعليها أن تفترش المساحة الوحيدة الخالية أمام المطبخ... فاطيما لا تصلح موضوعا لمفهوم الصداقة، إنها قد تجعلها تفتقد أكثر لهذه الكلمة : الصداقة»[35] فهذا النص السردي يعكس القلق النفسي الذي يعيشه المهاجر، وفقدان الثقة في الآخر، وهذا يعد من سلبيات الهجرة، فهي لا توفر الراحة النفسية، بل على العكس فالمهاجر يتوجس من أي حركة أو سؤال، ويحاول نسج الأكاذيب ليداري حقيقته، إذ يقول السارد: " كل الذين يفتحون أفواههم هنا يكذبون، يدارون بالكذب أشياء لا يريدون أن يعرفها أحد ويدفنون الحقيقة بعيد أبعد من أن يراها مخلوق"[36]وبذلك فالمهاجر عادة لا يتشارك قصصه القديمة ؛ لأنه يود نسيانها، والتصديق بأنه بعد سنين سيصير مواطنا أميركيا يجوب الشوارع ولا يسأله أحد : من أين جئت؟ وهذا ما قامت به أيضا "هند"؛ فهذا الإنكار يعد حماية بالنسبة لامرأة وحيدة مع طفلها في المهجر(=بروكلين) حتى لا تصبح لقمة سائغة لكل جارح خبيث.

ومن سلبيات الهجْرة، وبخاصة لامرأة تحمل معها طفلا خوفها الدائم على طفلها إذا حدث لها مكروه، وتجلى ذلك في قول السارد:" ...تراقب صغيرها ناعسا باستسلام تحتضنه وتقبل يده وتشعر بهذا الثقل الضاغط على قلبها وتخاف من تلك الانتفاضة السريعة التي تجعل تقلصات قلبها أعنف تخاف أن يصحو في موعده ويحرك يده حول جسدها ويقول: "ماما إنت رحت فين؟" وصارت تخاف أن تتركه كما تركتها أمها فجأة...تنخرط في بكاء مر...تكره الموت الذي يزورها كثيرا هذه الأيام...يحتضنها طفلها بين يديه...تحتضنه بقوة يصبح طفلها فجأة هو

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

الصديق الوحيد تبكي على صدره"[37]. نعاين من النص أن مسؤولية هند ازدادت حدة بوجود طفلها وشعورها بالمرض، والضعف، فأصبحت تخاف أن تموت وتترك ابنها وحيدا دون أهل في الغربة، وتكتشف أيضا أن ابنها هو الصديق الحقيقي والوحيد الذي يمكن أن تبكي على صدره دون خوف وتردد.

كما تُشكل الهجرة خَطَرا على الهُوية، وبخاصة بالنسبة للأطفال؛ إذ ينشأ الطفل في بيئة جديدة ومختلفة تماما عن البيئة الأصلية، ويحتك في المدارس بأطفال لهم أسماء أجنبية، ولون الشعر مختلف، فهذا يجذب الطفل؛ إذ تتكون لديه شخصية حسب الظروف المحيطة، ونحن نعرف مدى الحرية التي تمنح للطفل في هذه الدول، حتى في بعض الأحيان وبتأثير البيئة الجديدة قد يهين والديه بسبب وظيفتهم ومظهرهم، وهذا ما عكسته الروائية من خلال سلوك ابن "هند" على لسان السارد؛ إذ يقول:« تسير هند في المساء وابنها يسبقها بخطوة ...صار يفكر كثيرا يفكر أن يغير اسمه لأنه لا يحب اسمه لأنه ليس (cool) كما يعتقد، ولا يحب اسم أبيه أيضا ويفضل لو سمى نفسه(Ben) كما يحب أن يغير لون شعره قليلا ليصبح لونه أشقر"بلوند"...صار يفكر في الجاذبية والإعجاب وهوليود ستارز ويقول لها: لائما: "لماذا لا تبحثين عن decent job؟"...وتعتبر ذلك إهانة...كانت في الحقيقة تريد أن تجد تلك الوظيفة ... »[38]، نعاين أن الطفل بدأ يسأم من اثنيته التي تعد جزءا من هويته، وبتأثير من البيئة الجديدة بدأ يفكر في تغيير شكله، واسمه وأصبح يتذمر من اسمه أبيه، حتى لغة خطابه أصبحت أجنبية حتى معه أمه، وكل هذا يعود إلى اختلاف الثقافة، وهذا ما يؤثر سلبا على هوية المهاجر، وعلى أسرته، كما أن أسباب الجذب الموجودة في المهجر قد تؤثر على الفرد، وبخاصة الأطفال وتؤدي به إلى إنكار موطنه الأصلي وفقدان الرغبة في العودة إلية وهذا ما تجلى من خلال الحوار الذي دار بين "هند" وطفلها، إذ يقول الطفل: «...لو مت مثلا أنا ممكن أعمل إيه...؟

-ترجع مصر.

- لكن أنا مش عايز أرجع مصر...»[39].

نعاين من هذا الحوار رفض الطِفل للعودة إلى موطنه الأصلي على الرغم من صغر سنه، وبالتالي فمغريات المهجر ستؤثر عليه كلما كبر، وهذا يخلق فجوة كبيرة بين جغرافيته الأصلية والجديدة، ويجعل المسافة بعيدة جدا.

كما أن البيئة الجديدة قد تخلق قلقا نفسيا عند المهاجر، وبخاصة إذا كان أبا أو أما فهذا يزيد من المخاوف والهواجس، والقلق على أبنائهم؛ وهذا ما تمظهر عند "هند"؛ إذ يقول السارد: «تلتصق بالزجاج لترى الثلج يغطي الشوارع ستعاود التفكير فيه. لماذا يخلقنا الله أمهات؟ هل يركض في الفناء الآن؟ هل يعرف كيف يحفظ توازنه على الأرض الزلقة؟ هل يعرف كيف يتكلم ولا يعلقون على لكنته بسخرية؟ هل وجد من يتحدث معه؟ أم لا يزال وحيدا يذرع الفناء المدرسي ويستند على الحوائط يقف عليها مثل الغرباء؟ هل فهم حركة رفع الإصبع حركة

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

جنسية بذيئة وتعني الإهانة؟ أم لا يزال بعضهم يرفعون في وجهه "الميدال فنجر" على سبيل اختبار ثقافته؟ هل عرف الفرق بين الكلمات النابية "الإف والإن والإل" F, N,L».[40]

نُعاين من هذا النص أن الروائية جعلت السارد أكثر قربا من الشخصية المحورية، فجاء الخطاب مزدوج الصوت، وبذلك استطاع هذا المونولوج المسرود أن يعكس الأزمة النفسية التي تعيشها "هند"؛ إذ جاءت لغتها متقطعة كما طغت الجمل الاستفهامية التي تدل على الاضطراب والتوتر، والشرخ الداخلي، وعدم الاستقرار. كما يحن المهاجر إلى لغته الأم في المهجر، فيشتاق للتخاطب بها، وقد عكست "ميرال الطحاوي" هذا الحنين من خلال شخصية "نجيب الخليلي" الذي يبحث عمن يتحدث معه اللغة العربية؛ وهذا اعتراف بفقدان المهاجر/العربي لجزء من هويته، وهو لغته؛ إذ يصبح قلقا يبحث عمن يتحدث اللغة العربية معه؛ وإذ وجده يصعب إيقافه، وهذا ما يجعل الناس في كثير من الأحيان قد يتجنبون الحديث معه، وبخاصة أن هناك الكثير من يضمحل ويذوب في البيئة الجديدة، ويتجنب لغته الأصلية حتى لا يظهر أنه غريب.

كما بينت الروائيةُ أن حِكاية "هند"/المهاجرة مرآة عاكسة لمعاناة النساء المهاجرات، اللائي غادرن الوطن لظروف اجتماعية (خيانة، فساد، قسوة، قهر)، كما أنها ليست الحكاية الأولى والأخيرة، بل هي حلقة في سلسلة طويلة دون نهاية، وهذا ما عكسته الروائية من خلال شخصية "ليليت" التي هاجرت من مصر إلى بروكلين بسبب خيانة زوجها والتي عاشت طويلا وحيدة في الغربة إلى أن أتاها النسيان ومحي ذاكرتها بغلظة، وأصبحت لا تدرك من هي ولا ماذا كانت، وتتكرر هذه المأساة ويصبح المهاجرون صورا متشابهة بطريقة محزنة ومأساوية حسب الروائية؛ إذ يقول السارد: « ...تراقب هند خطوط القلم الرصاص على اللوحات والاسكتشات التي رسمت فيها تلك المرأة بورتريهات عديدة لوجهها ثم تقول: " انظري يا إميل..كيف كانت تلك ليليت في شبابها..تشبهني أليس كذلك؟ أليس هذا خدشا قديما أسفل جفنها مثلي؟ "انظري"...تقلب أوراقها، تلك الأسرار التي خبأتها في القصاصات...يصيب هند هذا الدوار وينز اللبن من صدرها...تمسك صورة الطفل الذي صار في الصور في مثل سن طفلها...انظري أليس هذا الولد يشبه ابني؟ في لحظات كثيرة تفكر أنها عاشت هذا الموقف من قبل وأن حياتها...».[41]

نعَاين من هذا النّص أن "هِنْد" ترى أن حياة "ليليت" مرآة عاكسة لحياتها بكل تفاصيلها، حتى فعل الكتابة الذي تحلم به قد مارسته "ليليت" وكتبت ما بداخل "هند"؛ أي أن ليليت" استطاعت إخراج كل المكبوتات التي عجزت عن إخراجها هند، وربما ذلك يعود إلى أن تجربة "ليليت" سابقة عن تجربة "هند" وبالتالي استطاعت تجاوز الشرخ الذاتي بالكتابة، وهذا ما جعل هند تشعر بأن أوراق "ليليت" هي أوراقها؛ لأنها مست تلك المنطقة البعيدة في اللاوعي عندها ؛ وهذا ما تجلى في قول السارد: « تقول هند..."أشعر أنها أوراقي وأن تلك الخطوط بالفعل خطّ يدي ولا أعرف كيف أخذت تلك المرأة التي ماتت كل ما أردت أن أقول وأكتب...أشعر أنني عشت ذلك من قبل كتبت هذه الكلمات وفتحت هذه الخطابات وعشت حياة هذه المرأة"...تركض هند ...باتجاه بيتها تفعل كما كانت تفعل في طفولتها، تنام في فراشها وتخبئ وجهها تحت الغطاء وتحاول أن تنسى الخوف...»[42]، وعليه

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

يمكن القول أن هند بذلت جهدا في تشغيل الكتابة كأداة لإعادة بناء الذات، والاستمرار في الحياة بأمان، ولكن النص السردي جاء مفككا يفتقد لمبدأ الانسجام والتناسق وهذا يعكس حالة التوتر والقلق الذي عاشته المهاجرة بين الهنا والهناك، فهي تبحث من خلال التأرجح عن ذاتها وهويتها، ولكنها تفشل في تفعيل أداة الكتابة التي استطاعت المهاجرة/ليليت في تفعيلها وتقديم صورة واضحة عن معاناة المرأة المهاجرة التي تبحث عن الجنة المفقودة/الأمان.

5-شخصية "هند" بوصفها أنموذجا:

طرحت الروائيةُ من خلال نصها السردي (=رواية) ثيمة الهجرة؛ إذ عكست معاناة المهاجرين، وقد اتخذت من شخصية "هند" نموذجا عكست من خلاله الصراع الداخلي والخارجي الذي يعيشه المهاجر سواء أكان رجلا أو امرأة، ويمكن أن نقول إن الروائية سافرت بشخصية "هند" من جغرافيتها الأصلية (=القاهرة) إلى جغرافية جديدة وغريبة ومختلفة جذريا عن الجغرافية الأولى، وقد حاولت أن تعكس الصراع النفسي الذي تعيشه المهاجرة؛ أي علاقة هذه الجغرافية الجديدة بداخلية الشخصية المحورية(=هند)، وقد بينت مدى معاناة الشخصية المهاجرة، وشدة الصراع الداخلي الذي تعيشه بدليل أن الشخصية لم تستطيع التخلص من ماضيها وذكرياتها، إذ عمدت الروائية إلى تشغيل ذاكرة الشخصية واسترجاعها لماضيها وذكريات الطفولة المترسخة في اللاوعي، وبالتالي من الصعب التخلص منها؛ إذ نجد "هند" تعود بذاكرتها إلى طفولتها وتتذكر علاقتها بجدتها وأمها ووالدها، وصديقتها في المدرسة وخيانة زوجها وآلام الشقيقة وجل الأحداث في جغرافيتها الأصلية، ونظرا لسيطرة هذه الذكريات على داخلها، فإنها تستغل أي فرصة لاسترجاعها، ولكن على الرغم من ذلك فالمهاجر مهما كانت جنسيته وما دام أنه غادر موطنه، فهذا يعني أنه دائما يسعى لتحقيق التغيير والانطلاق ومحاولة التخلص من ذكرياته، وبخاصة الذكريات السلبية التي تمزق داخله، وهذا ما أرادته هند وغيرها من المهاجرات؛ إذ يقول السارد: « ...أمام المرآة تقف متأملة خصلاته التي تسقط بعد أن جزّتها...كان شعرها مكتوما على الأرض كخليط من الذكريات جمعته وألقت به في سلة النفايات، لم تبك ولم تفرح أيضا، فقط أحست أنها تسير الآن حرة وطليقة كما اشتهت وتركض على جسر بروكلين بهذا المعطف الذي انتقته بعناية والذي ينم ع ذوقها في الملابس التي تفضلها سوداء فضفاضة، كاجوال تضيف إلى عمرها حفنة من سنوات احتياطية...»[43].

فهذه الصورة التي رسمتها لـ "هند" تُشكل صُورة نموذجية تمثل كل مهاجرة، مهمها كانت جنسيتها، فهند بزيها الجديد جسدت عدة صور تمثل المرأة المهاجرة بصفة عامة؛ إذ يقول السارد: « ...تسير بشعر قصير أسود وخطى حذرة في ملابس حشمة ووقار، تنظر في الأرض فيعتقد المارّة في الأفينيو السابع أنها يهودية متدينة، فيهدونها إعلانات "بيت ألوهيم" وينادونها بـ "سيدتي اليهودية الصغيرة"...ويعتبرها "اللاتينيون" بامتلائها وشعرها الأسود هسبانك، والهنود أيضا يهزون لها رؤوسهم إذا كحلت عينيها وتلوحت بشرتها الخمرية في الشمس ويقولون لها "كشميري؟" أي أنت من "كشمير" عدد آخر من النازحين يرونها تشبههم...»[44] نعاين من هذا النص أن هند/ المهاجرة اكتسبت هوية بديلة، فهي تمثل صورة كل نازح ومهاجر الذي ضاعت هويته الأصلية، في الجغرافيا

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

الجديدة، وبذلك تصبح رؤيته ضبابية لا يرى صورته الحقيقة وروحه الأصلية، بل يبقى وحيدا يشبه كل المهاجرين من مختلف البقاع.

وأخير يمكن القول إن الهجرة حسب "ميرال الطحاوي" لا يمكن أن تحقق الراحة النفسية للمهاجر والحرية الحقيقية التي كان يحلم بها إلا في القليل النادر، فشخصية "هند" حسب الروائية فشلت في تحقيق الانسجام، والتعالق مع الجغرافية الجديدة فهي في نهاية المطاف وجدت نفسها وحيدة، وذاتها منكسرة، غير قادرة على تحديد هويتها، فهي متأرجحة بين الهنا والهناك.

–خاتمة:

طَرَحت "مِيرال الطحاوي" ثيمة الهِجْرة في نصِها السردي، وَهِي أكثر وَعْيا بِكنهها؛ علما أن الذَاكِرَة وَالمَهْجَر يَسِيرَان معا في نصِها لُتُقَدِمَ بذلك صُورة جَلِية تعكس مُعَانَاة الكَثير من المُهَاجِرَين، وبخاصة المرأة، ومن أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة ما يأتي:

–اعتماد الروائية على الذاكرةِ بوصفِهَا تقانَة ومَادَة حِكَائية في الوقت نفسه.

–اعتبار المرأة المهاجرة–هند–شَخْصِية مأزومة تحمل بداخلها وجعا حياتيا وإبداعيا؛ إذ عكست من خلال المحكي تفاعل ذاتية الشخصية وواقعها الجديد، واشتغال الذاكرة لديها، مبينة شرخ الذات الذي يزداد كلما اكتشفت حقيقة هذه الجغرافيا الجديدة (عنصرية، تبشير، استغلال جنسي...)، وهذا ما زاد من معاناتها نفسيا وجسديا، وجعلها تعيش التشتت والقلق والارتباك.

–اصطدام المهاجرة/هند بحقيقة الجغرافيا الجديدة، وعودتها إلى الماضي، عبر الذاكرة إلى موطنها الأصلي وماضيها؛ لأنه الوحيد الذي يشكل هويتها.

–استِخْدَام تقانة المَشي، بوصْفِهَا فِعْلاً يتيح الحرُيَة والانْطِلاق، والانْفِلات من مجتمع ذُكُورِي، وهذه الحرية لم تتجسد لهند إلا بعد هجرتها؛ ومغادرتها لجغرافيتها الأصلية التي عانت فيها من الكبت والقيود، والانغلاق.

–حُكْم الروائية على البطلة بالفَشَل منذ البِداية في التَخَلُص من مَاضيها وتَقبل الوَاقِع الجَديد؛ وثقافة الآخر، هذا الأخير الذي يسعى إلى طَمْسِ ثقافتها التي تجلي تميزها واختلافها، وبالتالي فهي تبحثُ عن الذاتِ ولملمة نفسها المكسورة وتحديد هُويتها المرتبكة بسبب تَغير الجغرافيا، واللُغة والثقافة.

– تحدِيد بعْض الأسباب التي تُؤَدي إلى الهِجرة، وبخاصة الأسباب الاجتماعية، فالفردُ الذي يفشلُ في تحقيقِ أحلامهِ في بلاده، ويتعرضُ للخيانة فيحس بالانسحاقِ، والقهر، وهذا مَا يدفعه للتنقيب عن موطنٍ بديلٍ ربما يمنحه

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

فرصةً جديدةً لتحقيق أحلامه، وبخاصة أن الجغرافيا الجديدة تحتوي على أسبابِ الدفعِ والجذب حسب تصور المهاجر، إذ يحسبها جنّة.

-النَظر إلى الرجُلِ الشَرْقِي باعْتِباره رجلاً شهوانيا، يَسْعى لتَحقيق رَغباته الجنسية دُون مراعاة عائلته، والتنصل من مسؤولياته، وهذا مَا يسهم في هجرة المرأة بحثا عن الذات التي ضاعت في مجتمع ذكوري، يمارس كل أنواع القمع ضد المرأة تحت مسميات مختلفة، وبخاصة الدينية.

-مُقَابَلة الروائية بين الجغرافيا الأصلية والبديلة (=بروكلين)؛ إذ يهاجرُ الفردُ ويحملُ معه ذاكرته المثقلة بالذكرياتِ والمواجد، لذا نجدها قد حمّلت بطلتها الماضي نفسه، وكلما مرت بتجربة يعودُ السارد إلى موطنِها ليجلي لنَا الفرق الشاسِع بين المجتمع الأصلي والمجتمع المستقبل، وأصبحت تتخبطُ بين الهنا والهناك.

- تبيان سلبِيات الهِجرة من خلالِ خلق نَوع من القلقِ النفسي لَدى المهاجِر، وفقدان الثقة في الآخرِ، فالمهجرُ لا يوفر الراحة النفسية، بل على العكس فالمُهاجر يتوجس من أيّ حركةٍ أو نظرة، أو سؤال.

- خُطورة المهجر على الهوية، وبخاصة بالنسبة للأطفالِ؛ إذ يَنْشَأ الطفلُ في بيئة جديدةٍ ومُخْتَلفة تماما عن البيئةِ الأصليةِ وهذا مَا يُهَدد هويته الأصلية، فالمهاجر عَادَة ما يفقدُ جزءا من هويته، وهو لغَتُه؛ إذ هناك الكثير منهم من يَضْمَحل ويذوب في البيئة الجديدة، ويتجنب لغته الأصلية حتى لا يظهر أنَّه غريبٌ.

-اتخذت الروائية من شَخْصِية "هند" نموذجا عَكَسَتْ من خلالهِ الصراع الدَاخِلي والخارجي الذي يعيشه المهاجر سواء أكان رجلا أو امرأة، إذ نَقَلت هذه الشخصية من جغرافيتها الأصلية (=القاهرة) إلى جغرافيةٍ جديدةٍ وغريبةٍ ومختلفةٍ جذريا عن الجغرافية الأولى، وبينت مدى معاناة هذه الشخصية المهاجرة، وقوة الصراع الداخلي الذي تَعِيشه بدليل أن الشخصية لم تستطيعْ التَخَلص من مَاضِيها وذكْرَيَاتها.

-المقاربة بين السَارد والشَخْصِيَة المحوَرِية، فجاء الخطابُ مَزْدَوَج الصَّوت، وبذلك استَطَاع المونولوج المسرود أن يعْكِسَ الأزمة النفسية التي تعيشها "هند"/ المهاجرة التي تجلت من خِلال الاضطراب والتوتر، والشَّرَخ الداخلي، وعَدَم الاستقرارِ.

وأخيرا نقترح الاهتمام أكثر بموضوع الهجرة، المتجلي في النصوص السردية، فهي تقدم لنا رؤية تعكس حقيقة الجغرافية البديلة، وبخاصة إذا كان أصحابها يعيشون في المهجر.

الهوامش:

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، دط، ص 251-252.

[2]- أنيس إبراهيم، عبد الحليم منتصر، وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية: مجمع اللغة العربية، ط4، 2004، ص973.

[3]- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة.بيروت-لبنان، ط4، دت، ص331.

[4]- حسين خمري، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف،الجزائر، ط1، 2002، ص43-44.

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

[5]- حمد السلوم. (31 جانفي, 2018). أدب اللجوء السوري: الشتات والتعبير الأدبي. تم الاسترداد من مركز حرمون للدراسات المعاصرة: https://2u.pw/YrVWUYa.2018

[6]- ينظر، محمد السلوم، أدب اللجوء السوري: الشتات والتعبير الأدبي. تم الاسترداد من مركز حرمون للدراسات المعاصرة: https://2u.pw/YrVWUYa .2018، ص 9.

[7]- محمد الحمامصي.، حوار مع الروائية ميرال الطحاوي. تم الاسترداد من :https://2u.pw/IO4JFdG . تم النشر في 2أفريل2011

[8]- ينظر، محمد السلوم، أدب اللجوء السوري: الشتات والتعبير الأدبي، ص4.

[9]- ينظر، محمد معتصم، بنية السرد العربي، منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر- بيروت-لبنان، ط1، 2010، ص 121.

[10]- حميد الحميداني، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب. ، ط1، 1990، ص86.

[11]- ممدوح عزام، أدب المنفى: مطرودون ومشتاقون. النشر 6 نوفمبر 2015، تم الاسترداد من.https://2u.pw/voguqnp .تم

[12]- محمد معتصم، بنية السرد العربي، ط1، 2012، ص 118

[13]- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2010، ص 7-8.

[14]- المصدر نفْسُه، ص9-10

[15]- المصدَر نَفسه، ص 12

[16]- م ن، ص 10.

[17]- خليل النعيمي، كتاب الهند ، منشورات دار السويسي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- أبو ظبي، 2004، ص10

[18]- محمد الحمامصي، حوار مع الروائية ميرال الطحاوي، تم النشر في 2أفريل2011. تم الاسترداد من https://2u.pw/IO4JFdG .

[19] - علي عبد الرزاق حلبي، علم اجتماع السكان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005، ص 215-216.

[20]- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص 7-8

[21]- المصدرُ نفسه، 9-10

[22]- م ن، ص 12.

[23]- م ن، ص 22.

[24]- م ن، ص 21.

[25]- م ن، ص 40.

[26]- م ن، ص 41.

[27]- م ن، ص 42.

[28]- م ن، ص31.

[29]- المصدَر نفسه، ص33.

[30]- ميرال الطحاوي، بروكلين هايتس، ص38.

[31]- عصام واصل، الرواية النسوية العربية: مساءلة الأنساق وتقويض المركزية ، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2018، ط1، ص222.

[32]- مِيرَال الطحَاوِي، بِرُوكلين هَايتس، ص 39.

[33]- المصدر نفسه، ص 118

[34]- م ن، ص 128-129.

[35]- م ن، ص 137-138.

[36]- م ن، ص 161

[37]- م ن، ص 202-203.

[38]- م ن، ص208

[39]- م ن، ص 101

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

[40]- م ن، ص 135.

[41]- الرواية، ص 209

[42]- الرواية، ص 273-274.

[43]- الرواية، ص 255.

[44]- الرواية، ص 254-255.

المصادر والمراجع:

1. أنتوني غذنز:(د ت)، علم الاجتماع، ترجمة فيز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت-لبنان.
2. أنيس إبراهيم، عبد الحليم منتصر، وآخرون:(2004)، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مجمع اللغة العربية، ط4.
3. حسين خمري:(2002)، فضاء المتخيل: مقاربات في الرواية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر.
4. حميد الحميداني:(1990)، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي، ط1، الدار البيضاء-المغرب.
5. خليل النعيمي:(2004)، كتاب الهند، منشورات دار السويسي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-أبو ظبي.
6. سامية إدريس:(2015)، جدلية المنع والاختراق في رواية الممنوعة، منشورات ضفاف، ومنشورات الاختلاف، ط1، لبنان-الجزائر.
7. عصام واصل:(2018)، الرواية النسوية العربية: مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، دار كنوز المعرفة، ط1، الأردن.
8. علي عبد الرزاق حلبي:(2005)، علم اجتماع السكان، دار المعرفة الجامعية، القاهرة.
9. محمد السوم، أدب اللجوء السوري: الشتات والتعبير الأدبي، 31 جانفي، 2018، تاريخ المشاهدة: 2024/04/15، مركز حرمون للدراسات المعاصرة،https://2u.pw/fuKuou7C
10. محمد الحمامصي، حوار مع الروائية ميرال الطحاوي، 2 أفريل2011، تاريخ المشاهدة: 2024/04/15. https://2u.pw/IO4JFdG
11. محمد معتصم:(2010)، بنية السرد العربي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ناشرون، اط1، لجزائر-لبنان.
12. ممدوح عزام، أدب المنفى: مطرودون ومشتاقون، 6 نوفمبر 2015، تاريخ المشاهدة: 2024/04/15. https://2u.pw/voguqnp
13. ابن منظور: (دت)، لسان العرب، دار صادر، دط،بيروت.
14. ميرال الطحاوي: (2010)، بروكلين هايتس، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

References

1. Anthony Giddens :(Without date), **Sociology**, presented and translated by Fayez Al-Sabbagh, Arab Organization for Translation, Beirut - Lebanon,4th Edition.
2. Anis Ibrahim, Abdel Halim Montaser, and others :(2004), mediator Dictionary, Al-Shorouk International Library, Arabic Language Academy, 4th Edition.
3. Hocine Khamri:(2002) , The Space of the Imaginary: Approaches to the Novel, Difference Publications, Algeria, 1st Edition.

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)

4. Hamid AL-Hamidani: (1990), Narrative Criticism and Ideology from the Sociology of the Novel to the Sociology of the Narrative Text, Arab Cultural Center Casablanca, Morocco, 1st Edition .

5. Khalil Al-Nuaimi:(2004), The Book of India, Dar Al-Suwaisi Publishing and Distribution, Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, Abu Dhabi.

6. Samia Idris: (2015), The Dialectic of Prevention and Penetration in the Forbidden Novel, Difaf Publications, Publications, Difference, Lebanon-Algeria, 1st Edition.

7. Essam Wasel: (2018), The Arab Feminist Novel: Questioning Patterns and Undermining Centralization, Dar Kunooz Al-Maarifa, Jordan, 1st Edition.

8. Ali Abdul Razzaq Halabi(2005), Sociology of Population. Cairo: University Knowledge House, Cairo.

9. Mohammed Salloum, Syrian Refugee Literature: Diaspora and Literary Expression: Retrieved from Hermon Center for Contemporary Studies: Published on 31 January2018, viewing date15/4/2024 https://2u.pw/YrVWUYa .

10. Mohammad Al-Mahmassy, interview with the novelist Miral Al-Tahawy. Published on :2April, 2011 ,viewing date: 15 April 2024 .Retrieved from https://2u.pw/IO4JFdG.

11. Mohammad Moatassim: (2010), The Structure of the Arab Narrative, Difference Publications, Arab Science House Publishers, Beirut-Lebanon.

12. Mamdouh Azzam, Exile literature: expelled and longing, Al-Arabi, November 2015 , viewing date: 15 April 2024 , Retrieved from: https://2u.pw/voguqnp.

13. Ibn Manzur: (Without date), Lisan al-Arab, Volume 5, Dar Sader, Beirut.

14. Miral Al-tahawy(2010), Brooklyn Heights, Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut-Lebanon.

Copyright 2022 jskp ISSN 2830-8379 (print) ISSN 2800-1273 (online)